شهادة ميلاد

البحث عن جماليات المكان في الحالة الثورية

معرض خاص بالعاصمة الفرنسية باريس

أ.م.د/ محمد محمود العربي

استاذ مساعد بقسم الزخرفة، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان

تقديم:

احتفظت ميادين القاهرة بخصائص تخطيطية ظلت متلازمة معها لعدة عقود , ينتابها اضافات احيانا يؤخذ فيها من فراغها الحيوي لتلتهمه كتلتها المتزايدة الى أن ترهلت , واصبح وجه المدينة يرزح تحت وطأة تعديات اصابت وجهها بعد ان انهكت قلبها , واصبح لا يرى أي مخرج من هذه الأزمات , وسكنت المدينة متألمة وهي ترى عزها ومجدها وجمالها يتوارى من سوء ما فعل به من جهالة , واصبحت امكانية رؤية مواطن الجمال فيه شبه معدومة.

وبالتحليل البسيط يبرز السؤال الاوحد والذي تعبر الاجابة عنه عن التحول العنيف في الشخصية المصرية والتي افترست هي ذاتها تلك القيم هذا السؤال ببساطة : ما الذي حدث ليصبح وجه مصر هكذا؟

ان الاجابة على هذا التساؤل معقدة للغاية وتؤدي في النهاية الي حالة من اليأس لا مفر منها الا بثورة.

وجاءت احداث الثورة المصرية الاخيرة في 25 يناير بفيض من المشاعر والافكار التي لامست وجدان كل مصري بأمل شديد في ميلاد جديد يطال كل مناح الحياة المصرية في محاولة لاستعادة روح الحضارات المصرية القديمة على مسار تاريخ عميق تم تبديد ارصدة قوته اما بفساد او جهل او باستهانة بطبيعة روح الشعب الاصيل الذى طالما رفض ان يكون في ذيل القائمة.

ومن هذه اللحظة اكتسى وجه المدينة هيئة جديدة لا نقول ان سلبيات التخطيط العمراني قد انتهت , وان التفاصيل التي احتفظت بشخصية الاماكن الجمالية قد عادت وان عناصر الهدم قد اختفت , بل ما حدث هو انكسار حالة الخوف واليأس وسريان روح الامل في جسد المدينة واهلها.

وتكمن المشكلة في هذه التجربة الابداعية في كيفية التناول لعناصر البيئة المختلفة (بخصائصها المكانية والزمانية) تناولاً تشكيلياً وقت الحالة الثورية ومدى مساهمة المكان في ابراز الصورة العامة للأحداث الجديدة عليه والتي دفعت الناس بصفة عامة والفنانين بصفة خاصة للالتصاق الوجداني بالميادين والشوارع وهو ما دفع الي اعادة تكوين الذكريات الخاصة وتنشيط الدور الوجداني المحسوس من خلال عناصر مادية ملموسة. وكيفية ادراجها في تكامل مع الحالة الانسانية المصاحبة لها.

والمشكلة وان كانت تبدو متكررة في اغلب الصياغات الفنية على مدى العصور والطرز الفنية المختلفة , الا انها تمثل في حقيقتها لب العملية الابداعية المستمر , ولما لا وهي تستند الي ارهاصات وتجارب ومشاعر وسلوك الانسان على مدى الزمن , وكونها انسانية فهي تجارب متجددة باستمرار لأن بقاؤها مرتبطا ببقاء الانسان.

وتهدف هذه التجربة الي التسجيل التشكيلي للحظات التاريخية في حياة الامة و تأصيل مفهوم البحث في جماليات العمران وهو (في حالة حركة) ان جاز التعبير وذلك في سياق تشكيلي يجمع الانسان وهو في حالته الثورية مع المكان الذي يحتويه في صياغة فنية خاصة تحمل سمات شخصية تميزها عن تجارب اخرى لفنانين آخرين وهو ما يشكل اجمالاً اثراءً للحركة التشكيلية الانسانية.

اما عن الاهمية التي يشكلها المعرض فهي محاولة لإبراز الشعور الجمعي المتوافق لدى غالبية الامة وهي تجربة مزدوجة الاهمية فعلى المستوى الشخصي للفنان الباحث فهي تمثل حلقة هامة في المسيرة الفنية الخاصة وتمثل حقلا اصيلاً للدراسة يشكل مع الدراسة الاكاديمية لجماليات العمران مسارين اساسيين في اطار التخصص الدقيق لمفهوم الزخرفة الاعم والاشمل , والشق الثاني يتعلق بتأصيل فكرة البحث التشكيلي في جماليات البيئة وقت لحالة الثورية للشعوب مع استخدام مفردات تراثية والتي تعتبر فرصة حقيقية للاقتراب منها وصياغتها بصور متجددة.

واعتمدت منهجية هذه التجربة الفنية بشكل رئيسي على التوثيق التشكيلي من وجهة نظر الفنان للأحداث الثورية متناولاً تناول مفردات الفن المصري القديم والقبطي والاسلامي والشعبي ضمن صياغة العمل الفني المستمد من المشاهد العامة للأحداث وشكل مصر على الخريطة بالقياسات والتركيبات اللونية المتعددة.

ان معرض (شهادة ميلاد) هو محاولة لرصد اللحظات الفارقة التي يتحول فيها الزمان والمكان والانسان من حالة الى اخرى , تحولا يحمل املاً في غد أكثر نضجا ويصبح الانسان فاعلاً اكثر منه مفعولاً به , انه ليس فقط رصداً لما دار من احداث ابان الثورة انما هو بحث في ظاهرة الميلاد التي تحدث في كل لحظة لكل انسان , فليس الميلاد الذى يحمل تاريخه كل انسان هو فقط الميلاد الامثل , بل اننا في حالة ميلاد مستمر املاً في حال افضل.

اللوحات المقدمة استوحت صياغاتها الفنية من الفن المصري القديم والفنون القبطية و الاسلامية , انها تصورات وتسجيل لإنسان فنان شاءت الاقدار ان يعاصر صنع وتكوين فصول من التاريخ لا تتسنى لكل الناس معاصرتها , فصول تحمل في طياتها العبر والتدبر , انها فصول في شهادة ميلاد جديدة لأمة عرفت في تاريخها العديد من شهادات الميلاد.

فجر الجمعة :

احتفظ الفجر لنفسه (كتوقيت) بخاصية الميلاد , حتى اننا دائما ما نذكر عبارة " ميلاد فجر جديد", وهي ظاهرة للتأمل في اروع تجاربه , كما انه دائما ما يحمل صفة الامل حتى وان كان مليئاً بالتضحيات. والصياغة المقدمة هي محاولة للمزج بين ظاهرة الفجر من الجانب المحسوس وجدانياً , وما يصاحبه من نشاط ملموس , محاولة للجمع بين الادراك الكلي والادراك الحسي. فهذه الشمس تنبئ بالميلاد الجديد لفجر جديد , وقد ظهرت الحركة في الفراغ فالكائنات تتوجه كل الى دوره في الحياه , واللوحة وان كانت تأخذ طابعاً يختص بالنشاط الروحي من الاتجاه الي الصلاة , والالتفاف حول هدف واحد تمثله هنا القبلة . الا انها محاولة لتحميل شكل الحركة مضامين ومعان عدة , ففيها ملامح للزخارف النباتية الاسلامية , وجانب من ستار الكعبة , والاصطفاف الدائري للمصلين حولها.

هكذا يبدو التناول في صورته الروحية , ومن هنا يبدأ التناول في صورته المحسوسة. فقد شهدت احداث الثورة ذروتها في يوم جمعة, وتجمع الناس في صورتهم المعبرة عن القوة في يوم جمعة , وارتبطت الاحداث في معظمها بيوم الجمعة , فهذه جمعة الغضب , وجمعة الحساب وجمعة الرحيل , وفي كلٍ منها فجر جديد وامل جديد وترقب دائم.

إن " فجر الجمعة " , كعمل تشكيلي محاولة لتضمين المكان سواء كان (موقعاً أو موضعاً) بنوع النشاط الانساني الذي يجري في المكان وهو ايضا محاولة للإيحاء بطبيعة المكان ضمن صياغة تشكيلية غير واقعية.

العرش الواهي :

فرضت هذه اللوحة نفسها بقوة على معرض شهادة ميلاد بالرغم من انها رسمت قبل الثورة , الا انها كانت تحمل نوعاً ما من استشراف المستقبل , ففي الوقت الذي كان حديث التوريث الغير شرعي لحكم مصر يأخذ في السيطرة على كافة المجالس الخاصة والعامة , كنت على يقين ان ذلك لن يحدث , وكان ذلك تصوراً اقرب الي اليقين لا اعرف سببه وربما لدرايتي بالطبيعة المفاجئة للشعب المصري.

واللوحة بهيئتها تمثل كرسيين للعرش على خلفية من الزخارف الملونة الزاهية التي تمثل مصر بثرائها وخيراتها وزهوة الحكم وبريقه , والكرسيين على غير عادة الحكم الذي يحتكره كرسي واحد , انما هي الرغبة لدى من يحكم بالتوريث , وعلى غير العادة ايضا فهما خاليان من ساكنيهم وفيها قدر من اليقين على ان ذلك لن يحدث, وبالرغم من كونهم كرسيين للعرش , الا ان تناولهم تشكيلياً جاء في الصورة الشعبية للكرسي الذي نجده في المقاهي , وهو ما يبدو غير متجانساً مع حالة العرش المرتبط بشكل من اشكال الترف وكأنه يحمل رسالة مفادها التنافر وعدم التجانس.

برغم الليل الطويل :

شكلت حالة الاحباط القوة الدافعة الكبرى للثورة , وهو شعور تسلل الي نفوس الجميع على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية , فهذا فقير انعدمت تقريباً لديه فرص العيش بأبسط معانيه , وهذا ميسور ويهاله التخبط والفساد, ويرق حاله للفقير. على ان هذه الحالة المعبر عنها في اللوحة بسيطرة اللون الازرق الداكن على مسطح الصورة , فهي حالة يعقبها بصيص من الامل في اعلى الصورة وهي صفة الوسطية والعبقرية المصرية الدفينة التي تبزغ في لحظات من الزمن لتغير فيه الحال رأساً على عقب. والشكل المربع لمعظم اللوحات يعبر ببساطة عن شكل مصر على الخريطة الاشبه بالمربع الصريح , وفيه استدلال واسقاط مكاني مستمر في معظم الاعمال. تبدو الشخوص غارقة في الظلمة , الا انها مضيئة في جوهرها , وبرغم الليل الطويل الذي غاص فيه الانسان المصري , الا انه احتفظ بجينات العبقرية التي لم تخبو جذوتها , واحاطة الاشخاص باللون النحاسي هو ايحاء بقدر من النبل يميز الانسان برغم ظروفه المادية الطاحنة.

موكب النور وحراس الظلام :

حدث تطور نوعي في شكل المواجهة , ثائرون مطالبون بالحرية مقابل قبضة حديدية آخذه في التراخي. وعلى صعيد مسرح الاحداث , كانت هناك مشاهد واقعية اشبه بالسينمائية , واحتلت التركيبة العمرانية التي تجمع البشر بالنهر بالأرض مشهد الصدارة , وارتبطت في ذاكرة الثوار بمشاهد وذكريات لا تنسى.

فهذا كوبري قصر النيل يتصدر المشهد ويحفر شكله في ذاكرة ومخيلة الجميع , من عايش تلك اللحظات ومن تابعها عن بعد.

مواجهة حقيقية بين مواكب النور المطالبين بالحرية وحراس القمع اعلى الكوبري , علاقة تشكيلية فريدة من نوعها تجمع كل المتناقضات , المطالبين بالحق والمدافعين عن باطل , تقابل محسوس بين اليابس والماء , واتشحت الارض بما تمثله من عنصر امان واستقرار , بثياب الخوف والقلق , ولما لا وفيها المواجهة المميتة.

من هنا جاءت صياغة اللوحة متأثرة بمكونات الفراغ , فهذا الكوبري قد احتل وسط اللوحة يحده النهر من الجانبين , وهؤلاء الثوار وقد ارتفعت هاماتهم بثبات على اختلاف فئاتهم واعمارهم وتخضبت ثيابهم بدمائهم في مقابل حركة الحراس المنفعلة والمستوحاة من مشاهد الصيد والحروب في الفن المصري القديم . وكان للحضور الكثيف للعلم المصري اثره في فرض نفسه كملمس وايقاع لوني على المشهد الثوري الذي ابهر العالم والمصريين انفسهم .

اللوحة في مجملها تسجل لحظة ولقطة بالغة التعبير في يوميات الثورة المصرية المليئة بالمشاهد التي استثارت الفنانين على تنوعهم التشكيلي او الموسيقي او الدرامي.

افراح ولصوص :

تسجيل وتوثيق تشكيلي لأجمل لحظات الثورة على الاطلاق , لحظة التنحي , وكأن ميدان التحرير قد امتلئ بملايين المصابيح , وكأن الثوار انفسهم هم من يضيئون , وتركت هنا ايضاً تفاصيل الميدان المعمارية بصمتها على المشهد , فيظهر هذا التباين بين ظلمة السماء ليلاً وضوء الارض , بين المحتفلين بثمرة الصمود وبين الفارين بليل في اقصى اسفل يمين اللوحة , وقد تستروا بالظلمة.

المعالجة التشكيلية للفكرة حاولت التأكيد على التباين بين الاحرار واللصوص الفارين في اجساد الضباع , وبين الضوء والظلام , بين نبل الهدف , ودناءة الفرار , انها متناقضات الحياة في صورتها الثورية.

الصيد الثمين :

كان من توابع الثورة انها قد وضعت يدها على المفسدين , وبغض النظر عما آلت اليه الأحداث لاحقاً , الا انها كانت لحظات لا تنسى في التسلسل الزمني للثورة , وقد احتوت مشاهد كانت تبدو اقرب للخيال منها الي الحقيقة.

من هنا جاءت الصياغة التشكيلية للعمل مستوحية ايضاً شكل مصر بنيلها وصحاريها ودلتاها وقد اكتست الارض ثوبها الذهبي بعد ان حُصدت اللصوص في مشهد اقرب الي لوحة الصيد الشهيرة في الفن المصري القديم خلف قضبان السجن , وهنا نرى ايضاً المفسدين في اجساد الحيوانات وقد استحالت هالات القداسة الي حلل من العار على ما اقترفوه في حق بلدهم واهلها.

بلا حدود :

صياغة تشكيلية اخرى لمصر على الخريطة تحمل تصوراً طموحا لمصر وقد تخطت بأبنائها وتاريخها حدودها المكانية محملة بأبرز مكوناتها :

, الارض الطيبة , النيل بواديه الاخضر وخيراته , وهو تصور يحمل نظرة افتراضية مملوءة بالأمل لما نحب ان نرى مصر عليه من مكانه.

الأرض والنهر وحراس العرش:

أصبح للوطن صوت , ينطق به أبنائه ويدافعون عن مقدراته ومكوناته وشخصيته.

وكما بدأنا العرض بالعرش الواهي فأن الصورة استوجبت ان تكتمل برؤية العرش في مكانه الصحيح على ارض الوطن , يحميه ابناؤه بأرواحهم فهو ثمرة ثورتهم.

التناول التشكيلي للعمل استوحى مفردات من الفن المصري القديم بتصرف خاص يحمل مفردات التخطيط المعماري والعناصر الزخرفية

مصادر المعرض:

- تيري موجيه - الجزيرة العربية حديقة الرسامين – الهندسة المعمارية والفن الجداري في عسير – مكتبة الملك عبد العزيز – 2009 .
- صور خاصة بالباحث.
- E. Prisse D'AVENNES, Atlas of Egyptian Art, ZEITOUNA, The American University. 1997.
- Herve CHAMPOLLION & Mahmoud ISMAIL, Le Nil des Egyptiens, Editions OUEST_ FRANCE 2008.

فجر الجمعة

اكريلك واقلام ملونة على ورق 30 x 30 cm.

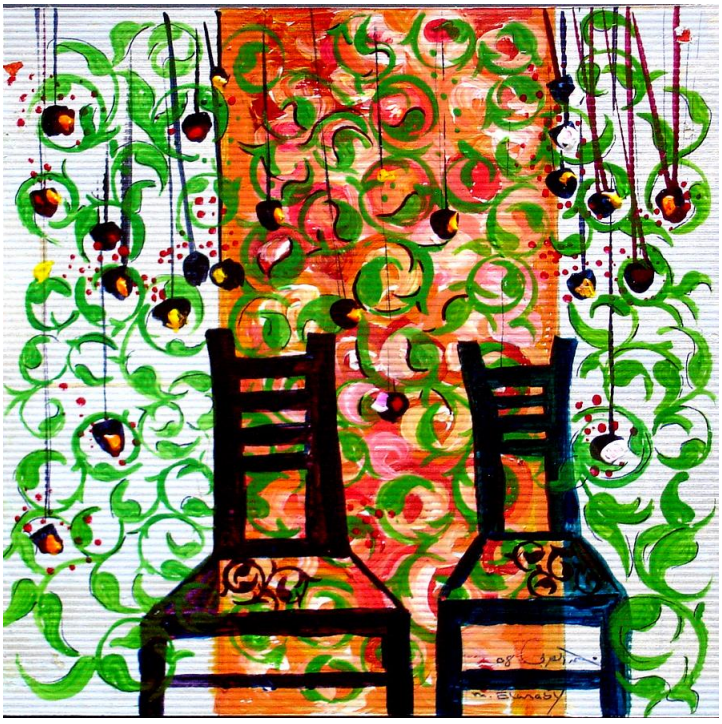

العرش الواهي

اكريلك على ورق مضلع 25 x 25 cm.

برغم الليل الطويل

اكريلك واوراق نحاس على ورق 30 x 30 cm.

موكب النور وحراس الظلام

اكريلك والوان جواش على ورق 30 x 30 cm.

افراح ولصوص

30 x 30 cm. اكريلك واوراق ذهبية على ورق

الصيد الثمين

30 x 30 cm. اكريلك واوراق ذهبية واقلام ملونة على ورق

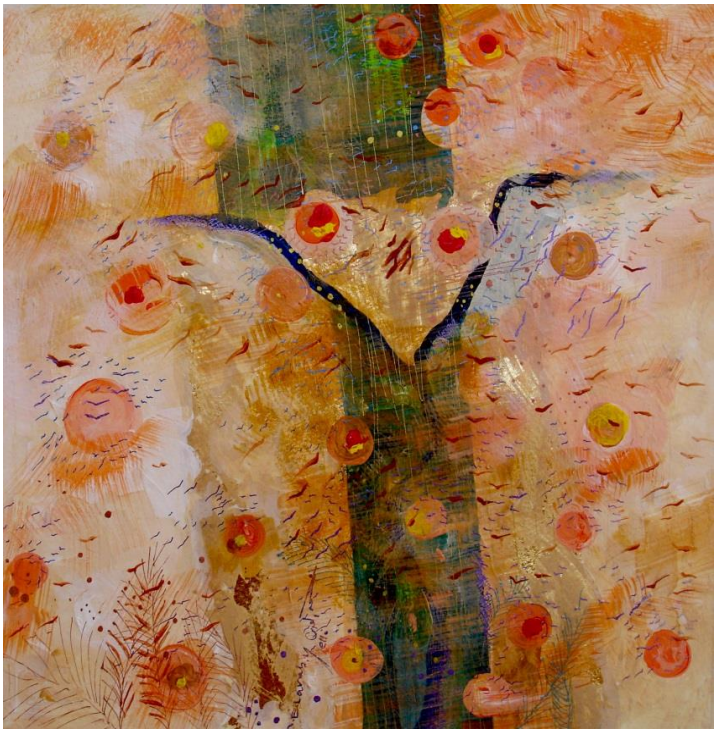

بلا حدود

30 x 30 cm اكريلك واوراق ذهبية واقلام ملونة على ورق مقاس

الارض والنهر وحراس العرش

اكريلك واوراق ذهبية على ورق 30 x 30 cm.

الحبيب والزهور

اكريلك واوراق ذهبية على ورق 30 x 30 cm.

الأخضر الجديد

- اكريلك واوراق ذهبية على ورق 30 x 30 cm.